وقد روينا عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير سمنون المحب رضي الله عنه
أنه كان يقدم المحبة على المعرفة خلافا لجمهورهم وروينا عنه أيضا أنه قال
ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قلت
ولبعض العارفين بالله تعالى كلام في المحبة الخاصة ولعلهم أرادوا التفريق بين المحبة
والمعرفة في التفضيل بينهما أن بعضهم يغلب عليه سكر المحبة وشوق الهيمان
إلى محبوبه وبعضهم لا يغلب عليه ذلك بل يغلب عليه المشاهدات وظهور
الأسرار والمعارف وكثرة التجليات مع اعتدال الحال في المحبة في غالب الأحوال فيكون
أكثر معارف من الأول والأول أشد ولها وأحرارا وسكرا وممن قال بعضهم المحبة سكر
لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه وقال المحققون منهم المحبة استهلاك في لذة
والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة وأنشد بعضهم وهو في سياق الموت

أنا إن مت بالهوى حشو قلبي :: وبداء الهوى يموت الكرام

ثم مات وفي وصف المحب قلت في بعض القصائد عن لسان حاله بطريق النيابة
عن لسان مقاله على جهة الغزل السالم من المحال

لمن كان يشكو أسعد الله جليس له :: إلى الوصل عنها والسلو سبيل
وما شكر الوالعام رتبة إنها :: يحول عقلا ذكرها ويزيل
ولكن يعي كمد في ظاعنيها فإن :: تقل كيف هو قولا به اعليل
عليه اصفرار من تقاوب له :: أنين سقيم جسمه ونحيل
وإن تعط تلقاه وإن تلقه يلج :: هواك المعنى المستهام قتيل

وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه دفع إلى الشبلي رضي الله عنه رقعة وقال هذه
خير لأن من صح مائة قصة وكذا وكذا فإذا فيها مكتوب

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني :: فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

24

فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا :: وتذبل حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يبقي لك الهوى :: سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

وقال الشيخ العارف بالله أبو بكر الكتاني رضي الله عنه جرت مسألة في المحبة
بمكة حرسها الله تعالى أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم
سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد
ذاهل عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه
أنوار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم
فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع
الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين قلت
وكلام الشيوخ أيضا في المحبة كثير وليس المختصر يسع ذلك ولا هذا موضع في
ذكرها وإنما موضع ذكر المعرفة واليقين وإخراج الشك ذلك من أجل بيان أن صاحب
الكرامة ليس بأفضل ممن ليس له كرامة من الأولياء وإنما الفضيلة بكمال المعرفة
واليقين ثم إنه جرى الخلاف في المحبة من أجل الخلاف في الفضل في المعرفة والمحبة وحاصل الأمر
أن المعرفة أفضل من المحبة عند الأكثر منهم كما تقدم وأما المعرفة واليقين فقد ذ
كر بعضهم أن اليقين يحط عن كمال المعرفة فعلى هذا تتفاوت المعرفة لأن اليقين مقاما
على ثلاث مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من
طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال وحق
اليقين أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان وقال بعضهم اسم و
رسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للأولياء وعين
اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء وحقيقة حق
اليقين اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ الكبير العارف بالله الشيرازي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)